مجلة الرائد

العدد : ٢١٤ الموافق في رجب ١٤٢٠ هجري ١١ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : رثاء الشيخ علي الطنطاوي	بقلم : محمد منير الجنباز

وَارَوكَ يا شيخَنا صَمْتاً فوا أسَفي ... وودّعوك بدمع الُحزْنِ والَهَفي
وغيّبوكَ الثّرى لو أنّهم عَرَفُوا ... أن المغيّبَ مثْلُ الدُّرِ في الصَّدَفِ
لأسْبلوا دمعْهم من عينِ واكِفَةٍ ... وأرسلوا حُزْنَهم من قلبِ مرتَجفِ
موتُ الغريب بدارِ شَطّ منزلُها ... كضائع في الفلا عن عينِ مكتشفِ
كم كنتَ ترجو مماتاً في ديارِكُمُ ... وتشتهي جِلّقاً[1] للموتِ في دَنَف
وكنتَ تذرفُ دمعاً كلما اقتربتْ ... منك المنيةُ حتى قيلَ لا تَخَفِ

فهل ظننتمْ بأن الموتَ أفْزَعَني ... أأذرفُ الدمعَ عنْ ما خُطَّ في الصُحُفِ
لكنّ خوفي بأني رهْنُ غُربَتنا ... والعينُ ما اكتحلتْ دهراً بمؤتَلِفي
أ« قاسيونَ »[2] الهوى إني لرؤيتكمْ ... أكابدُ الشوقَ فوق الوصف في سرَفِ
كم كنتَ تجثو أمامي شامخاً ألقاً ... فلا تغيب ولو كنا بمنعطفِ
تحمي دمشقَ كظلٍ لا يفارقها ... لولا إرادةُ رب العرش لم تقفِ
وكنتُ أصعدُ كالنشوان ذروَتكم ... وإن تَعِبْتُ فحسبي عند منتصفِ
سَرَّيتَ عني هموماً كنتُ أحملها ... فكنتَ منتزَهي دهراً ومعتكفي
أريد لي نظرةً من دار موطِننا ... حتى تُذكرني أهلي وكلَّ صَفِي
أودُّ أنظرُ للنّارَنْج مبتهجاً ... شبهَ الكواكب فوق الرأس والكتِفِ
لكَمْ جلستُ انتشاءً تحت دوحتِهِ ... وفوّحَ الزهرُ في عودي ومنصَرفي
أراقبُ الماء دَفّاقاً ببرْكَتِنا ... لها شهيقٌ وزفرات إلى الشُرَفِ
أما الشهيقُ فمنْ ماءٍ به بَرَدٌ ... تعود تذرفُ ما عَبَّتْ لمغتَرفِ
تفيضُ منها مياهٌ نبعُها بَرَدى ... آهٍ على بردى أبكي فوا أسفي
أضحتْ مدامِعنا إحدى العيونِ له ... لِترتَوي شامُنَا من مائهِ الوَكِفِ
أ«دِمَشْكِزَ[3]» النّور هل مازلتَ تذكرني ... وتذكُرُ الدرسَ تحت السقفِ والنجَفِ
أحَنَّ مِنْبَرُكُمْ يوماً لخطبتنا ... وتَاقَ محرابُكمْ للذكرِ في رَهَفِ
هذي المعاني لَكَمْ تاقَ الفؤادُ لها ... ووَدَّتِ الكَفُّ لو تدنو بلمسِ خَفِي

قضيتَ يا شيخُ والآهاتُ تَعْصِركمْ ... وقد مُنِعْتَ الجَوَى والشوقَ في صلفِ
أبْدِلْتَ داراً وبستاناً بها عِنَبٌ ... داراً بها باسقاتُ النخلِ والسّعفِ
لئن تركتَ دياراً قد دَرَجْتَ بها ... ففي رحاب الهدى قد كنتَ في كَنَفِ
ألم تكنْ جارَ بيتِ الله من أمَدٍ ... وحَفَّكَ الله في ظِلِ التقى الوَرِفِ
فعشتَ أمْناً وقرَّتْ عينُكم وطناً ... وماءُ زمزم إرواءٌ لمرتَشِفِ
وكان صوتُكَ في المذياع يأسِرُنا ... فكنتَ تجمعُ بين الجِدِ والطُرَفِ
خمسٌ وعشرونَ في التلفاز تتْحَفُنا ... بزادِ (مائدة الإفطار) في شَغَفِ
(والذكريات) بها فكرٌ وتجربةٌ ... وما كتبْتَ يُنير الدربَ للخَلَفِ
لم تعطِ نفسكَ يوماً راحةً أبداً ... وكنتَ داعيةً في منهجِ السلفِ
عُرفْتَ في مشرق الدنيا ومغربها ... ونلتَ جائزةَ الإسلامِ في شرفِ
فكان فيها الغِنى وصلاً بذي شرَفٍ ... ورغم ذاك فلم تَنْجَرَّ للترفِ

وفي القضاء سمتْ حقاً نزاهتُكم فما تلوَّتْ ولا انحازتْ لمنحرفِ
ضربتَ للناس أمثالاً بجِدّكمُ وقد تحقق ما خططتَ من هدف
فنم (علي) بقبر في حِمَى حَرَمٍ ومنه تنظُرُ للجناتِ والغُرَفِ
تقضي غريباً فربّ العرش نوّلكُم أجرَ الشهادة لا يُعطى لغيرِ وَفي
لكم ثوابٌ كجري النهر من عَمَلٍ حِرْزٌ تُلفُّ به ... طُوبى لِمُلْتَحِفِ

[1] جلّق : دمشق
[2] قاسيون : جبل في دمشق .
[3] دنكز : مسجد في دمشق